عبد الرحمن بدوي:
حياة علمية زاخرة(*)

سعيد بوخليط(**)

باحث من المغرب.

ـ ١ ـ

«بالصدفة أتيت إلى هذا العالم، وبالصدفة سأغادر هذا العالم!» بهذه المقولة العبثية، التي تحمل في طياتها أكثر من دلالة فكرية، يفتتح عبد الرحمن بدوي سيرته الذاتية التي حاول من خلالها، وعلى امتداد سبعمئة صفحة، تقديم ذاكرة لمساراته الحياتية والفكرية. الصدفة، وحدها، ربما تكون قدر كل واحد منا ما دام أن لعبة الوجود محكومة أساساً بمنطق اللحظة. لا خيار لنا إلا إعطاء الزمان الحاضر أقصى ممكناته، لأن الموت قد يأخذ أية صفة، فتتحول العلية والجوهر والماهية والمفهوم والمطلق إلى ائتلاف فكري يستهدف إعطاء وجود مبرره النظري.

لكن لا يمكن الصدفة أيضاً أن تخلق عقلاً كبيراً وروحاً قوية كالتي دافع عنها بدوي على امتداد مسيرته الوجودية الزاخرة بالعطاء والإبداع، وجعلت من النّفَس النيتشوي، القائم على المجابهة والتحدي والطموح الجامح إلى العلو، شعلة وضّاءة تشقّ سبل الحقيقة وسط صخر هذا الدهاء الآدمي الذي حوّل كل شيء إلى مجرد شيء: عبث للوازع اليومي.

ـ ٢ ـ

أسس بدوي بكتاباته مدرسة قائمة بذاتها، شعارها الوحيد الاجتهاد الفكري الرصين؛ فهو مثقف يتقن تكلماً وقراءة وكتابة أهم اللغات التي تتوفّر على إنتاج إنساني زاخر: الفرنسية، الإنكليزية، الألمانية، اللاتينية، الإسبانية، الإيطالية، الفارسية. يقول في هذا الإطار، محدداً المبررات والأسباب التي عملت على إعطاء مشروعه طابع التنوع والضخامة: «أهم ما

(*) عبد الرحمن بدوي، **سيرة حياتي**، ٢ ج (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠).

(**) البريد الإلكتروني: saidboukhlet@hotmail.com.

أعانني هو إتقاني لعدة لغات، ممّا مكّنني من الاطلاع على المؤلفات الأساسية في مصادرها الأصلية؛ إذ الملاحظ أن عدم إتقان اللغات هو عقبة كأداء في سبيل البحث العلمي، وخصوصاً البحث التحصيلي لتعدّد اللغات التي كُتبت بها المؤلفات ذات القيمة. ولهذا، لا أتصور مطلقاً أن يتمكن شخص من القيام بأبحاث تحصيلية ذات قيمة علمية تُذكر دون أن يكون متقناً لأربع لغات حديثة وثلاث لغات قديمة على أقل تقدير»[١].

بأرضية فكرية متينة كتلك، وضع بدوي لنفسه مشروعاً وبرنامجاً فكرياً، وأعطى لمسيرته العلمية التعدد والتنوع، وبالأخص الإنتاج الجاد الذي وصل إلى مئة وعشرين كتاباً. وهو يؤكد أنه يعتز ويفتخر بكونه حقق أخيراً الخطة التي وضعها لنفسه[٢]، وقامت على البرنامج التالي:

١ ـ تقديم الفكر الأوروبي إلى القارئ العربي، وقد جاء ذلك في إطار سلسلة، وضع لها بدوي اسم «خلاصة الفكر الأوروبي»، حيث ظهرت في هذا السياق مجموعة من الأعمال والدراسات النظرية نذكر منها : نيتشه، شبنغلر، شوبنهاور، شيلِنغ، إمانويل كانط (أربعة أجزاء).

٢ ـ التأسيس والتنظير لمذهب فلسفي وجودي، وتندرج في هذا السياق الأعمال التالية :

ـ أوجه التلاقي بين التصوّف الإسلامي والمذهب الوجودي، وتبيان عناصر التلاقي، وكذا حضور الوجودية في التصوّف الإسلامي، خصوصاً عند الحلّاج وابن عربي والسهروردي. وكانت هذه الدراسة، في الأساس، محاضرة ألقاها بدوي في لبنان، ثم أعاد نشرها في كتابه: **الإنسانية والوجودية في الفكر العربي** (١٩٤٧).

ـ «هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟»: محاضرة أُلقيت في بيروت عام ١٩٤٨، وهي الأطروحة الأساسية التي حاولت الدفاع عنها، وتأكيد حركية الأخلاق الوجودية وديناميكيتها، وبالتالي من الصعب وضع قواعد لهذه الأخلاق.

ـ «فن الشعر الوجودي»: سعى بدوي إلى وضع نظرية لفن الشعر انطلاقاً من المذهب الوجودي، كما ظهر ذلك في كتابه **الإنسانية والوجودية في الفكر العربي**.

ـ «دراسات في الفلسفة الوجودية»: حاول بدوي بهذا العمل تيسير وتبسيط فهم الوجودية عند المثقفين.

هذه الكتابات وغيرها، ساهمت بشكل كبير في تشكيل رافد نظري ومعرفي للنظرية الوجودية لدى المثقفين العرب، كما أعطت بدوي طابع الريادة في تقديم الوجودية، بل إنه في حقيقة الأمر يُعتبر من بين روادها الأوائل. يقول في هذا السياق: «ومن الواضح أنني بدأت أسهم في الوجودية قبل سارتر وغيره، ممّا شاءت الدعاية الزائفة ربط الوجودية بهم. فقد كانت شهادتي للماجستير بالفرنسية وتحت إشراف لالاند وكويريه. وكتبت حول «مشكلة الموت في الوجودية»، وكان ذلك في سنة ١٩٣٩، ثم بعد ذلك أوضحت مذهبي داخل الوجودية في رسالة للدكتوراه

(١) «ملفات للبحث والسؤال،» **البديل**، العدد ٣ (١٩٨٣)، ص ٨.
(٢) بدوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٠.

بالعربية والفرنسية وعنوانها: «الزمان الوجودي»، وقد طبعت أربع طبعات حتى الآن، بينما أول كتاب لسارتر في الوجودية هو **الوجود والعدم** الذي صدر في أواخر سنة ١٩٤٣»[٣].

كما أنه يشير في هذا الإطار إلى مسألتين أساسيتين: المسألة **الأولى** هي أن الوجودية تحولت في فرنسا، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، إلى موضة متمحورة حول شخص سارتر (١٩٠٥ ـ ١٩٨٠). وقد ساهمت في ذلك كتابات الصحفيين، وهذه مسألة يرفضها بدوي لأنها أضرت بالوجودية كمذهب في غاية «الجد والصعوبة». والمسألة **الثانية** هي أن سارتر هو في حقيقة الأمر أديب وباحث نفساني أكثر منه فيلسوف، وقد جاء كتابه **الوجود والعدم** «بعيداً كل البعد عن وجودية هيدجر، وخليطاً من التحليلات النفسية، فدهشت من زعم سارتر وحوارييه أن هذا الكتاب هو إسهام في المذهب الوجودي»[٤].

ساهمت كتابات عبد الرحمن بدوي في تشكيل رافد نظري ومعرفي للنظرية الوجودية لدى المثقفين العرب، وأعطته طابع الريادة في تقديم الوجودية، بحيث يُعتبر من بين روّادها الأوائل.

٣ ـ أما المكون الثالث لمشروع بدوي والمؤسس لرافد آخر من سيرته العلمية، فيقوم على تحقيق ونشر التراث الفلسفي العربي واليوناني، وكان من نتائج ذلك:

ـ تحقيق أعمال أرسطو وأفلاطون وأفلوطين والإسكندر الأفروديسي وبرقلس...

ـ تحقيق مجموعة من النصوص الفلسفية التي ضاع أصلها اليوناني، إلا أن بدوي اشتغل عليها، انطلاقاً من الترجمات العربية المتبقية من هذه النصوص. بهذا العمل، أكبّ على إبراز بعض النصوص وتقديمها للقارئ كـ : الحجة الأولى لبرقلس في قِدم العالم، وكذا عشرات من رسائل الإسكندر الأفروديسي.

ـ تحقيق مؤلفات بعض الفلاسفة، أمثال : الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة وابن رشد والغزالي وابن خلدون.

وقد شكّلت هذه النصوص للباحثين مادة غزيرة في البحث والتحليل. ويكفي أن نذكر، على وجه الخصوص، كتابيه: **أرسطو عند العرب** و**منطق أرسطو** الذي اشتمل على ترجمة كاملة لجميع مؤلفات أرسطو.

تلك إذن، إشارة سريعة إلى المحاور الكبرى لاشتغالات بدوي الفكرية والمذهبية، التي تمثلت في: التأريخ للفلسفة؛ تحقيق التراث؛ التأسيس والتأصيل لمذهب فلسفي ذاتي في الوجود.

---

(٣) «ملفات للبحث والسؤال،» ص ٦.

(٤) بدوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٣.

وهذا «هو الوضع الذي ينبغي أن يتخذه كل مفكر في هذه الفترة الانتقالية، حيث لا يستطيع الإنسان أن يقتصر على الإنتاج الشخصي وإلا لأهمل في أداء واجبه القومي في إدخال الفكر الأوروبي إلى العالم العربي بإغنائه بكنوز هذا الفكر، كما لا يستطيع أن يقتصر على الفكر الأوروبي بدون أن يتناول التراث الفلسفي الإسلامي وإلا قصر في واجبه نحو تراثه وقومه... كما أن ما تستلزمه الأستاذية الجامعية من ضرورة القيام بأبحاث تحصيلية تفرض بالضرورة على المرء العناية بتاريخ المذاهب الفلسفية»(٥).

ـ ٣ ـ

جاءت سيرة د. عبد الرحمن بدوي في جزأين، سعى من خلالها إلى تقديم تصوّره للوجود، سواء ذاك الذي لم يخلقه حقاً صدفة، وأقصد هذا الزمن المعرفي الذي جاء وفق اللحظات الثلاث المرسومة أعلاه، أو الزمن الوقائعي، المحكوم حقاً بمنطق الصدفة؛ ذلك أن ميلاد بدوي يوم ٤ شباط/ فبراير ١٩١٧، في قرية شرباص على دلتا النيل، ما كان ممكناً لو نجحت بالفعل محاولة قتل والده في حادث. يقول بدوي: «ولو فتشت تاريخ حياة أي إنسان، لوجدت أن نوعاً من الصدفة هو الذي تسبب في ميلاده: صدفة في الزواج، صدفة في الالتقاء بين الحيوان المنوي في الرجل والبويضة في الأنثى إلخ إلخ. وواهم من يظن أن ثَمّ ترتيباً أو عناية أو غاية. إنما هي أسباب عارضة»(٦).

وقد أمضى بدوي، الذي شغل الساحة العربية الفكرية بإنتاجاته العلمية المتينة على امتداد مساحة كبيرة من الزمان داخل فضاءات معرفية مختلفة، طفولته في البادية، يمارس بعض شؤون الفلاحة، حتى بعد دخوله المدرسة الابتدائية والثانوية ثم الجامعة؛ فقد ظل ملتصقاً بالزراعة، خاصة إبان فصل الصيف، لكن مع بلوغه سن الحادية والعشرين وتعيينه معيداً في الكلية، سيقطع مع ذلك كي يتفرغ للأبحاث العلمية والفكرية.

دخل بدوي كلية الآداب لدراسة الفلسفة، ضداً على رغبة أبيه الذي كان يبتغي دخوله كلية الحقوق باعتبارها المؤسسة التي يتخرج فيها الوزراء. ولعل أهم حادثة وقعت في العام الأول لدراسته في كلية الآداب هي عودة طه حسين إلى التدريس في الكلية عام ١٩٣٤، بعد أن فُصل منها في عام ١٩٣٢ في إثر موقفه الشهير من الشعر الجاهلي.

هكذا، ارتبطت أواصر صداقة كبيرة بين الرجلين ابتداء من هذا العام وإلى غاية وفاة طه حسين عام ١٩٧٣. ومن حسن حظ بدوي كذلك أن قسم الفلسفة هذا كان يدرّس فيه أئمة الأساتذة الفرنسيين، أمثال أندريه لالاند وألكسندر كويريه وإميل برييه ولوي روجييه ووابل ريه (Rey).

بالنسبة إلى لالاند، تمحورت دروسه داخل الجامعة المصرية في موضوع «نظريات

---

(٥) «ملفات للبحث والسؤال،» ص ٧ ـ ٨.

(٦) بدوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦.

الاستقراء والتجريب»، وذلك بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨. وإلى جانب محاضراته في المنهج العلمي، درّس الميتافيزيقا لطلبة الماجستير، ومن بينهم بدوي، الذي اختار «مشكلة الموت في الفلسفة المعاصرة» موضوعاً لرسالته تحت إشراف لالاند نفسه. لكن مع ظروف الحرب العالمية الثانية، غادر لالاند مصر عائداً إلى بلده فرنسا، وواصل كويريه الإشراف على هذه الرسالة. وقد كان لمعرفته باللغة الألمانية واطّلاعه على الفلسفة الألمانية إفادة كبيرة لبدوي. يقول الأخير مُثنياً على الرجلين: «وكان من عظيم حظي أن تتلمذت على كليهما: لالاند في الفترة من أكتوبر سنة ١٩٣٧ إلى مارس ١٩٤٠، وكويريه في الفترتين: أكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى مايو ١٩٣٨، وأكتوبر سنة ١٩٤٠ إلى مارس سنة ١٩٤١ درست عليهما في مرحلة الليسانس وأشرفا على تحضيري للماجستير»[٧]. ثم يستفيض مبيّناً مميزاتهما العلمية والمعرفية، ومجال اشتغالهما، ثم تأثير ذلك كله في مساره الفكري.

فبالنسبة إلى لالاند، يقول عنه أنه عمل على «بث النزعة العقلية في تفكيري، وتوجيه عنايتي إلى مناهج البحث العلمي، وإلى الحرص على الدقة في تعريف المصطلحات الفلسفية (ولا عجب فهو صاحب أهم معجم فلسفي). ثم إني كنت أفزع إليه في الحصول على معلومات دقيقة عن الفلاسفة الفرنسيين الذين عرفهم عن قرب، أو الاسترشاد بأحكامه عليهم. ومن مآثره عليّ أنه هو الذي تحمس لتعييني معيداً في قسم الفلسفة في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٨ غداة حصولي على الليسانس»[٨].

وبالنسبة إلى كويريه، يقول: «له عليّ فضل عظيم لأنه كان يجمع بين النزعة الميتافيزيقية والنزعة العلمية، وكان يهتم بالتيارات الصوفية (...) قدر اهتمامه بتاريخ العلم الحديث (...)، وثم ميزة أخرى لكويريه أفدت منها كثيراً وهي معرفته الجيدة باللغة الألمانية وبالفلسفة الألمانية (...) حيث تتلمذ على هوسرل، مؤسس مذهب الظاهريات، وعلى هلبرت الرياضي الفليسوف. لهذا وجدت فيه عزماً كبيراً في تفهيمي مذهب الرياضيات، وتوجيهي في ميدان الفلسفة الوجودية. وقد كان على علم دقيق بها»[٩].

ـ ٤ ـ

لا شك في أن قارئ سيرة عبد الرحمن بدوي سيلتقط بعض الخصائص الوجودية التي، ربما، لا تميز فقط هذه الشخصية الفذة، وإنما جميع الذوات الكبيرة في مجالها. ويتعلق الأمر بالحيثيات التالية:

ـ إن تقييم الآخر لا تحكمه العواطف المجانية ولا النفاق الاجتماعي أو الفكري، ولا حتى التملق والتزلف، نظراً إلى وضعه الثقافي أو المعنوي. ولكن الفيصل في ذلك هو إنتاجه العلمي وعطاؤه الفكري، ثم صدقه مع نفسه، وكذا مجال اشتغاله. وقد كشف بدوي عن كثير من

(٧) المصدر نفسه، ص ٦٢.
(٨) المصدر نفسه، ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٩) المصدر نفسه، ص ٦٤ ـ ٦٥.

مثقفي جيله الذين استثمروا صفة المثقف في جميع أشكال الوصولية والانتهازية والخواء الذهني. فإذا كانت أسماء كـ لالاند و كويريه وهيدغر وطه حسين ومصطفى عبد الرازق وهتلر ونيتشه وأحمد لطفي السيد...، شخصيات كيفية وتاريخية على مستوى التفكير والعمل، فإنه، في الطرف المقابل، تتموضع شخصيات أخرى تتميّز، بالنسبة إلى بدوي، بسلبياتها وقصورها عن تجسيد النموذج القادر على إدراك الشخصية الإنسانية في أبعادها الوجودية الديناميكية، وتمثل أقصى درجات الضغينة والحقد. ولطالما صادف بدوي مثل هؤلاء في حياته الجامعية والسياسية، لكن أكثر ما يثير في هذا السياق هو موقفه من الثورة الناصرية، وكذا الحكم السياسي الذي ساد مصر من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٧٠، بمختلف أيديولوجياته.

ـ يتأسس السرد الحكائي للسيرة على ثنائية الإيجاب والسلب، القبول والرفض...، موقف فكري يؤكد تمازج الروح النيتشوية بديناميكية المرجعية الوجودية في أفق صياغة نموذج، كالذي حاول بدوي الدفاع عنه.

سعى بدوي في مؤلّفه عن نيتشه إلى إحداث ثورة روحية في الفكر العربي، والاستفادة من التراث الأوروبي من أجل تجاوز حالة التأخر التي يعانيها هذا الفكر.

ـ تَمَثُّل بدوي للقيم العقلانية والتأسيسات النظرية الكبيرة، سواء في الثقافة العربية أو في الثقافة الغربية، وهذا لا يعني بأي شكل من الأشكال الانقياد السلبي والمطلق، بل نحس دائماً بوجود ذات قارئة بامتياز، لا تتعامل مع الأسماء والتيارات المذهبية إلا بروح نقدية. تكفي الإشارة إلى موقفه من مسرح العبث، ومساهمات التيار البنيوي والفلسفة الجديدة، والثورة الطلابية في فرنسا أواخر الستينيات. إجمالاً، تشكّل البناء العام للسيرة من خلال المحاور التالية: الإنتاج العلمي والنشاط الجامعي؛ المسار السياسي؛ الرحلات إلى أوروبا. وذلك ليؤسس وثيقة فكرية هائلة تمثل حلقة أساسية في مسار الفكر العربي. ولست أبالغ إذا قلت، انطلاقاً من الزوايا الكثيرة والجوانب المتعددة التي تكشف عنها، بأنها تشكّل مرجعية أساسية للباحثين في مختلف الحقوق والمجالات المعرفية: من الجغرافيا إلى التاريخ، مروراً بالقانون الدستوري والمنطق وتاريخ الفكر... وبين هذا وذاك، تبرز قوة اللغة وجلاء الأسلوب ونباهة الذكاء ووضوح الفكرة، في حين يتجلّى الخيط الرابط لذلك كله أساساً في ذاكرة خارقة تلتقط أبسط الجزئيات.

أعتقد أن الاعتراف الذي صدر عن طه حسين بقوله «لأول مرة نشاهد فيلسوفاً مصرياً»، بعد الانتهاء من مناقشة الأطروحة الجامعية التي تقدم بها بدوي تحت عنوان «الزمان الوجودي»، يؤكد، بشكل ملموس، الجِدة الفكرية التي ابتدأ بها مساره، ليعلن في أواخر حياته أنه اقتنع بعد ١٢٠ مؤلفاً بالمساحة التأملية التي أسستها كتاباته من خلال المسارات التالية: المؤلفات التي سعى بها إلى التعبير عن مذهبه الفلسفي؛ عرض الفكر الأوروبي وتقديمه إلى القارئ العربي؛ المساهمة في دراسة الفلسفة الإسلامية.

يقول بدوي عن موضوع رسالته للدكتوراه: «وفيها عرضت مذهبي الوجودي القائم على أساس تفسير الوجود بواسطة فكرة الزمان وما يترتب على ذلك من إقامة مذهب فلسفي كامل

في علم الوجود وفي المنطق، وفي الأخلاق (...). وإسهامي في الفلسفة الوجودية إنما يرتبط مباشرة بوجودية هيدجر، ويعد إكمالاً لمذهبه في عدة نواح:

أولاً: في تفسير ظواهر الوجود على أساس الزمانية.

ثانياً: وضع لوحة مقولات وفقاً لها ينبغي تفسير أحوال الوجود، فكما فسر إمانويل كانط الأحكام العقلية وفقاً للوحة مقولاته الاثنتي عشرة، كذلك وضعنا نحن ـ وهو ما لم يفعله هيدجر ولا غيره من الفلاسفة الوجوديين ـ لوحة مقولات تُفهم وفقاً لها أحوال الوجود. وتتميز هذه اللوحة بأنها تقوم على التوتر في أحوال الوجود، ممّا يهب الفهم تفسيراً ديناميكياً للوجود قائماً على دياليكتيك عاطفي وإرادي.

ثالثاً: فهم أحداث التاريخ فهماً كيفياً باعتبار أن الوجود تاريخي وتاريخيته كيفية.

رابعاً: تفسير العدم بأنه الهوات القائمة بين الذرات، لأن الوجود منفصل وليس متصلاً»[١٠].

قبل ذلك، وبالضبط في عام ١٩٣٩، صدر عن مكتبة النهضة المصرية مُؤلَّفه عن نيتشه، وهو أهم الأعمال المندرجة في إطار سلسلته **خلاصة الفكر الأوروبي**، التي سعى بها إلى «إحداث ثورة روحية في الفكر العربي»، والاستفادة من التراث الأوروبي من أجل تجاوز حالة التأخر التي يعانيها الفكر العربي. من مظاهر النجاح التي عرفها هذا الإصدار، كما يؤكد بدوي، نفاد طبعته الأولى (٢٠٠٠ نسخة) بعد عامين من تاريخ ظهوره، وقد طُبع الكتاب بعد ذلك خمس مرات. كما أن عناصر من الضباط الأحرار، وبالخصوص جمال عبد الناصر وأنور السادات، احتضنوا هذا العمل واعتبروه مرجعية فكرية تجسد تطلعاتهم السياسية. وقد أوصى أحدهم «بأن يُكتب على قبره هذه العبارة التي كتبها نيتشه وأوردتها في كتابي : «لكي تجني من الوجود أسمى ما فيه، عش في خطر!»[١١].

أما مؤلَّفه **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، فهو ترجمة من الألمانية لمجموعة مقالات صدرت عن بعض كبار المستشرقين. وقد شكّل المحطة الأولى في المقاربات التي خصصها للفلسفة الإسلامية.

ـ ٥ ـ

كان من ثمار رحلة بدوي إلى فرنسا عام ١٩٤٦، اشتغاله الدؤوب والمتواصل في المكتبة الوطنية، حيث عمل على تحقيق كتب أرسطو المنطقية (**المقولات**؛ **العبارة**؛ **التحليلات الأولى**؛ **البرهان**؛ **الطوبيقا**؛ **السوفسطيقا**؛ **إيسا غوجي**؛ **الخطابة**؛ **في الشعر**).

يقول بدوي عن هذا الإنجاز العلمي الكبير: «١. فقد أنقذت هذه الترجمة العربية القديمة الممتازة من الضياع، خصوصاً ومخطوط باريس هذا تتحلل أوراقه عاماً بعد عام، إذ مضى عليه

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٧٩.
(١١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

قرابة ألف عام، وورقه هش يتفتّت كلما اطّلع عليه إنسان، رغم محاولات ترميم بعض أوراقه. ٢. ويسرت للباحث في تاريخ الفلسفة الإسلامية الاطّلاع على ترجمة منطق أرسطو إلى العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) وهذا هو الأساس في قيام أبحاث في تاريخ الفلسفة الإسلامية وتأثير أرسطو فيها. ٣. وقدمت تحقيقي كتب أرسطو المنطقية في أصلها اليوناني أداة غير مباشرة لتحقيق هذا الأصل، إلى جانب ما لدينا من مخطوطات يونانية ترجع كلها إلى فترة متأخرة عن الأصل اليوناني الذي عنه ترجم المترجمون العرب هذه الكتب المنطقية ٤. وفيما عدا كتابي «الخطابة» و«الشعر» ـ ولهذا أعدت ترجمتهما ـ يمكن الانتفاع بهذه الترجمات العربية القديمة، والاستغناء بها عن إعادة ترجمتها»[١٢].

بعد ذلك، واستفادة دائماً من مخطوطات المكتبة، قام بدوي بتحقيق أجزاء من كتاب **الشفاء** لابن سينا، وهو قسم البرهان، ثم **الحكمة الخالدة** لمسكوية، و**العهود اليونانية** لأفلاطون، وكذا **سر الأسرار** لأرسطو.

والملاحظ أن أغلب الأسفار التي قام بها بدوي خارج مصر، حتى في لحظات إجازته السنوية، غالباً ما كانت تتخللها مجموعة من الأنشطة العلمية والفكرية، وذلك في شكل ندوات أو مؤتمرات أو محاضرات، بل حتى نقاشات فلسفية وفكرية. ويؤكد بدوي أن الفترة الممتدة من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٦ هي أكثر اللحظات إنتاجاً بالنسبة إليه. يُردّ تفسير ذلك إلى الظروف السياسية التي خيمت على مصر في هذه الفترة، ذلك أن موقفه المعارض لسياسة النظام الناصري دفعه إلى الانكباب على الفكر والإنتاج العلمي، تأليفاً وترجمة وتحقيقاً للنصوص العربية القديمة، يمكن إجمالها في المؤلفات التالية:

- **على مستوى التأليف:**

ـ المثالية الألمانية

ـ دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي

ـ مناهج البحث العلمي

ـ الفلاسفة والإسلام

ـ في الشعر الأوروبي المعاصر

ـ المنطق الصوري والرياضي

ـ دراسات في الفلسفة الوجودية

ـ مؤلفات الغزالي

ـ مؤلفات ابن خلدون

---

(١٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

● **على مستوى الترجمة:**

نقل بدوي إلى اللغة العربية الأعمال التالية:

ـ **دون كيشوت** (سرفانتس)

ـ **الوجود والعدم** (جان بول سارتر)

ـ **النقد التاريخي** (سينوبوس لانجلو)

ـ **نقد النص** (باول ماس)

ـ **أفكار في التاريخ العالمي** (إمانويل كانط)

إضافة إلى مجموعة مسرحيات لكل من : بريخت ولوركا وغوته....

● في الفترة ذاتها حقق بدوي أيضاً الأعمال التالية:

ـ **فضائح الباطنية** (الغزالي)

ـ **الطبيعة** (أرسطو)

ـ **رسائل ابن سبعين** و **تلخيص الخطابة** (ابن رشد)

ـ **في السماء والآثار العلوية** (أرسطو)

ـ **فن الشعر: من الشفا** (ابن سينا)

إن الخلفية المعرفية التي حكمت هذه الأعمال تتجسّد أساساً في مواجهة المد الأيديولوجي اليساري، الذي فرضه الاتحاد السوفياتي، وهي المنظومة التي سعت إلى إلغاء التعدد الفكري والثقافي لصالح منظومة شمولية إطلاقية.

وقد سعى بدوي إلى الدفاع عن قيم الحرية والفردية والليبرالية ضداً على جميع أشكال الفكر الواحدي. يقول في هذا الصدد: «لقد استخدمت إذن «أسلوب الحكيم» كما يقال في كتب البلاغة العربية أو «الخطاب غير المباشر» كما يقال في كتب البلاغة الأوروبية، إذ لم يكن في وسعي أن أنشر في الصحف أو أصدر كتباً تتناول الرد على المد القرمزي (الشيوعي) في مصر بطريقة مباشرة، فإن الرقابة كانت بالمرصاد، والنفوذ الشيوعي في إدارة الدولة، خصوصاً من سنة ١٩٦٤ وما يليها كان كفيلاً بالقضاء على كل صاحب قلم يجرؤ على الهجوم المباشر على الماركسية والاشتراكية «العلمية» وما تفرع عنها من اتجاهات»[١٣].

لقد شكّلت صراعات بدوي السياسية حافزاً كبيراً في شأن وضع لبنات مشروعه الفكري والعلمي. وكانت له، بالفعل، مواقف ومساهمات سياسية أزالت عنه صورة المفكر الوجودي المنعزل عن التجربة المجتمعية. ولعل أهم ما يثير الانتباه في مساره السياسي موقفه النقدي

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٥.

الصارم من ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٢، نظراً إلى مجموعة من العوامل الموضوعية شكّلت، حسب بدوي، معطيات سلبية في مسار حركة الضباط الأحرار.

ـ ٦ ـ

اهتم بدوي بالسياسة وانخرط في قضايا بلده منذ سن الخامسة عشرة. وقد تأثّر في البداية باتجاه حزب الأحرار الدستوريين ضداً على حزب الوفد، وكان مبرره لذلك غياب تجربة عملية مهمة للحكومات الوفدية («بل اقتصر عملها على التهريج السياسي وإغداق المناصب والمكاسب على الأنصار والأصهار والمحاسيب»)[١٤]، وضم حزب الأحرار الدستوريين أكبر الشخصيات المصرية المثقفة (أمثال أحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي و طه حسين ومحمد حسين هيكل)، إضافة إلى أن مؤسس حزب الوفد، وهو سعد زغلول، لم يكن تاريخه نظيفاً.

"إن الكثير من العلماء والفلاسفة المستشرقين اليهود بقوا في ألمانيا وظلوا ينشرون مؤلفاتهم ويواصلون العمل في الجامعات حتى سنة ١٩٣٩، لم ينلهم أي أذى... أما الحملات على اليهود، فكانت جزءاً من حملات النازية على من كانوا خصومها..."

وقد شارك بدوي في حركة الطلاب القوميين ضد حزب الوفد. ثم تعاطف مع تنظيم «مصر الفتاة» تعاطفاً كبيراً منذ ظهوره، وبدأ ينشر في جريدة الحزب مقالات تتناول النظرية السياسية الفاشية والنازية ومبادئها وفلسفتها السياسية، وكذا تنظيماتها الحزبية، وبالخصوص برنامج الحزب النازي. وممّا ساعد في ذلك معرفته الجيدة والعميقة للغتين الألمانية والإيطالية. كما أن سفره إلى ألمانيا وإقامته في منشن مكّناه من أن يعرف عن قرب، وبعمق، أكثر الكتابات النظرية والأيديولوجية للحركة النازية من خلال كتاب **كفاحي** لأدولف هتلر وكتاب **أسطورة القرن العشرين** لألفرد روزنبغ، إضافة إلى النشرات الرئيسية للحزب النازي، ثم الكشف عن أكذوبة اضطهاد اليهود والأجانب غير الألمان، انطلاقاً من المعاملة الجيدة التي لمسها بدوي في ما يخص علاقة الشعب الألماني بغيرهم. يقول في هذا السياق «إن الكثير من العلماء والفلاسفة المستشرقين اليهود بقوا في ألمانيا وظلوا ينشرون مؤلفاتهم، ويواصلون العمل في الجامعات حتى سنة ١٩٣٩، لم ينلهم أي أذى، أذكر منهم مؤسس مذهب الظاهريات إدموند هوسرل (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨) الذي بقي في «فرايبورغ ـ إن ـ بريسغاد»، وكان أستاذاً في جامعتها حتى وفاته في أبريل سنة ١٩٣٨ (...) أما حملات النازية على اليهود، فكانت جزءاً من حملات النازية على من كانوا خصوم النازية في الفترة السابقة على تولّيها الحكم»[١٥].

لكن بدوي انسحب من حزب «مصر الفتاة» بصورة نهائية عام ١٩٤٢، نظراً إلى تسلّم

(١٤) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٨٦ ـ ٨٧.

زعيم الحزب أموالاً سرية من المخابرات البريطانية، إضافة إلى أخطاء سياسية أخرى.

يمكن اختزال أهم مبررات إعجاب بدوي بالاتجاه النازي في المعطيات التالية:

ـ كانت الأيديولوجيا النازية تدعو إلى التربية العسكرية للشباب من أجل تأهيله لخوض غمار القتال، وهي مسألة تبدو اختياراً حضارياً بالنسبة إلى كل مجموعة إنسانية تتوخى القوة.

ـ تشديد هذا المذهب السياسي على ضرورة تحرير الألمان من معاهدة فرساي (١٩١٩) التي فُرضت عليهم. وكان إعجاب بدوي بالألمان وبالروح الألمانية ثم الثقافة الألمانية بآفاقها الفكرية والسياسية قد جعله يتمنى لهم الانتصار في الحرب العالمية الثانية.

ـ في استعادة ألمانيا لقوتها إضعاف لإنكلترا، وهو ما سيؤدي إلى تخلص مصر من الاستعمار الإنكليزي.

ـ ٧ ـ

أما اتصالات بدوي الأولى بالفلسفة، فكانت على المنوال التالي:

في مرحلة أولى، قرأ بدوي مقالات عن نيتشه وشوبنهاور في مجلتي **السياسة الأسبوعية** و**البلاغ الأسبوعي**، ثم قرأ كتاب **قادة الفكر** لطه حسين. وفي مرحلة ثانية، قرأ مختارات مترجمة لبسكال وكانط وليبنتس، وكتاب **مبادئ الفلسفة** لـ رابو يورت، ثم **علم المنطق** لـ عبده خير الدين، إضافة إلى **مقاصد الفلاسفة** للغزالي، و**النجاة** لابن سينا. وانتقل بعد ذلك إلى مستوى آخر، وهو القراءة باللغة الإنكليزية، فشكلت مؤلفات لوك وفرانسيس بيكون وتوماس هوبس مرجعية أساسية في هذا السياق.

في عام ١٩٣٨، حصل بدوي على الليسانس الممتازة من قسم الفلسفة في الجامعة المصرية، وعُيّن معيداً في هذا القسم، باقتراح من لالاند الذي كان وقتذاك رئيساً لقسم الفلسفة: «وفي السنة الجامعية الأولى لتعييني معيداً، قمت بعملين: أعيد على طلاب الليسانس ما كان يلقيه عليهم الأستاذ لالاند من محاضرات ثلاث في مناهج البحث العلمي مشروحاً بالعربية حتى يفهموا ما قال، وبالفرنسية حتى يستطيعوا أداء الامتحان عند لالاند، والعمل الثاني : «تدريس مقال في المنهج» لديكارت لطلاب الليسانس (...) وفي الوقت نفسه كنت أحضر دروس الماجستير، وكانت أربعة دروس: درسان يلقيهما لالاند، يشرح فيهما «مقال في الميتافيزيقا» تأليف ليبنتس، ودرسان يلقيهما أ. برلو الذي كان أستاذاً بعلم النفس في جامعة رن»[١٦].

وممّا لا شك فيه أن مثقفاً من حجم بدوي، لا بد أن يكون كثير الأسفار والتنقل والترحال، خصوصاً إلى حيث المصادر الثقافية الأساسية للعلم والمعرفة، وكذا الفضاءات الزاخرة بتراثها الإنساني الفني. وبالفعل، تحدث في سيرته، وبتفصيل دقيق، عن رحلاته إلى مجموعة من الدول، وبالخصوص الأوروبية منها، كألمانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وسويسرا

(١٦) المصدر نفسه، ص ١١٧ ـ ١١٨.

واليونان، إضافة إلى بعض البلدان العربية والإسلامية، نذكر منها الكويت وليبيا وإيران ولبنان، ثم دول أخرى مثل أمريكا والهند ... وهي بطبيعة الحال رحلات كانت وفق المستويات التالية: الاستفادة من المرجعيات العلمية في أصولها المباشرة؛ الوقوف على آخر المستجدات العلمية، خاصة في ميادين الفلسفة والعلوم الإنسانية والمنطقية، وكذا مناهج البحث العلمي؛ التعرّف على النظريات الفنية والجمالية؛ التمثل الحسي للإنجازات الجمالية الإنسانية، من متاحف ومآثر ولوحات ورسوم. ولعل وقوف بدوي الطويل عند منجزات عصر النهضة يُظهر عشقه للعقل الجمالي؛ إلقاء محاضرات وكذا المشاركة في مجموعة من الندوات والمؤتمرات العلمية؛ انتدابه للتدريس في بعض الجامعات والمؤسسات العلمية...

بالتالي، سواء زار إيطاليا أو ألمانيا، ومن خلال احتكاكه الفعلي بالحضارة الأوروبية، فإنه يوظف معرفته الدقيقة بتاريخ الفن من أجل الوصف الدقيق للمآثر والنظريات الفنية. يقول مثلاً، وهو يبيّن ولعه بالموسيقى الألمانية، خاصة موسيقى ريتشارد فاغنر:

«وقويت نزعتي الرومانتيكية التي فُطرت عليها، وصار للشعراء الرومانتيك الألمان نوفاليس، وهيلدرلن واشليغل وتيك وبزمتانو، مكان الصدارة في تقدير الشعر بعامة، والألماني على وجه التخصيص (...) وبالموسيقى الألمانية انفتح أمامي عالم ساحر، صار هو ملاذي حين تسود الدنيا في عيني أو يستبد بي الضيق واليأس. إني أُعِدّ الموسيقى أعظم إنتاج انفردت به الروح الأوروبية»[١٧].

هذا في حين أن بلداً، كإيطاليا، بروائعه الفنية وآثار عصر النهضة وكذا مجموع المآثر التاريخية ولوحات عباقرة الفن، مثّل بالنسبة إلى بدوي استفادة وافرة من العلم واللغة، وكذا الثقافة والفن الإيطاليين. لقد كانت هذه الزيارة فرصة من أجل التعمق في دراسة الآثار، والإكثار من التردد على متاحف روما. كما استفاد بدوي من مكتبة «كيتاني»، التي كانت تحتوي على كل ما طُبع في أوروبا من كتب عربية، وكذا مختلف الدراسات والمؤلفات التي كتبها المستشرقون الأوروبيون، فكانت مرجعاً رئيسياً في جل ما أنجزه من دراسات وأبحاث منذ عام ١٩٦٩. وقد شكّل كتابه **مذاهب الإسلاميين** ثمرة اشتغاله على مخطوطات هذه المكتبة.

في السياق نفسه، كانت زيارته لطهران من أجل الاشتراك في مؤتمر «أبي الريحان البيروني» فرصة للاطلاع على نفائس المخطوطات العربية، فمدد لهذا الغرض إقامته بهذا البلد. بل إنه درّس في كلية الإلهيات والعلوم الإسلامية التابعة لجامعة طهران، فألقى سلسلة من المحاضرات في تاريخ التصوّف الإسلامي، ثم جمعها في كتاب تحت عنوان **تاريخ التصوّف الإسلامي**.

يوجز بدوي ما قام به خلال إقامته في إيران بـ: الاطّلاع على عدد كبير من المخطوطات في ميدان الفلسفة الإسلامية؛ تحقيق بعض الكتب مثل **صوان الحكمة** لأبي سليمان المنطقي السجستاني (١٩٧٤)، **أفلاطون في الإسلام** (١٩٧٤)، **آداب الفلاسفة** لحنين بن إسحاق

(١٧) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(١٩٨٥)؛ تأليف كتاب **تاريخ التصوف الإسلامي**؛ تأليف الجزء الثالث من كتاب **مذاهب الإسلاميين**، وهو مخصص لمذهب الشيعة الإثني عشرية ولمذهب الخوارج.

أما فرنسا، فقد مثّلت لبدوي متنفَّساً وملجأ، بعد الضغوط النفسية والفكرية التي عاناها في بلده جراء أخطاء نظام الحكم السياسية. فبعد حصار اقتصادي وثقافي وإعلامي كان له تأثيره السلبي في الفضاء الجامعي، تلقّى بدوي في عام ١٩٦٧ دعوة من كلية الآداب ومعهد الدراسات الإسلامية في جامعة باريس، لإلقاء مجموعة محاضرات، ظهرت لاحقاً في كتابه **انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم العربي**. كما أنه ألقى محاضرة عامة في السوربون تحت عنوان «تأملات في الحضارة العربية»، إضافة إلى استضافة كوليج دو فرانس له بناء على ترشيح أ. جاك بيرك. وقد صادف وجوده في فرنسا اندلاع حرب ١٩٦٧، فأخذ على بعض كبار المثقفين الفرنسيين مساندتهم إسرائيل ضد العرب، وكان من هؤلاء المثقفين ريمون آرون وناتالي ساروت ويوجين يونسكو وجان بول سارتر. وقد انطوت سيرته على تفاصيل دقيقة وطويلة بشأن الحالة السياسية والاجتماعية، وكذا الثقافية، لفرنسا في ذلك التاريخ، تنمّ عن معرفة كبيرة لبدوي بدقائق الأمور، نجمل أهمها :

ـ يعود السبب المباشر لانتفاضة الطلبة عام ١٩٦٨ إلى الاكتظاظ الطلابي داخل المؤسسات الجامعية.

ـ ضعف الأطروحات الجامعية ورسائل الدكتوراه، حيث تمظهر ذلك في غياب المتخصصين. بالتالي، اقتصر النقاش في غالب الأحيان على الملاحظات الشكلية.

ـ بعد ما كانت الوجودية هي الموضة الفكرية التي سادت فرنسا حينما غادرها بدوي عام ١٩٥٥، تراجعت إلى حد ما أمام المد الكبير للتيار البنيوي..

ـ ساد ضعف فكري وخواء مفاهيمي بعض الحقول الجمالية، مثل المسرح والشعر، نظراً إلى ظهور ما يسمّى اللامعقول؛ فقد ضعف المسرح الفرنسي بعد فترة ازدهاره من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٦٠ بفضل مؤلَّفات مونترلان وسارتر وجان أنوي. وقد حرص بدوي على مشاهدة كل جديد في ذلك المسرح، إلى أن دبّ فيه (أي المسرح الفرنسي) الضعف تأليفاً وإخراجاً وتمثيلاً، وكان ذلك في عام ١٩٦٧. وفي ميدان الشعر، أدت كتابات السورياليين، كـ أندريه بريتون وأراغون وبول إلوار وسوين ...، الذين تأثروا بالحركة الدادية وبالتحليل النفسي الفرويدي، إلى إفقاد الشعر حسه الجمالي الإنساني المتدفق.

واستجابة لدعوة من مؤتمر للفلسفة الإسلامية، توجه بدوي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧١ للمشاركة فيه حيث عُقد (جامعة هارفرد، في مدينة كمبردج)، فألقى محاضرة بعنوان: «نصوص فلسفية جديدة مفقودة في أصلها اليوناني وموجودة في ترجمة عربية»، وهي التي نشرها تحت عنوان «شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية». كما عرض بحثاً يتعلق بالترجمات العربية عن اليونانية، معلقاً عليها ومقارناً بين دقة وأمانة الترجمات العربية عن اليونانية وزيف الترجمات العبرية عن العربية، مستشهداً في هذا الإطار بالترجمات العبرية لمؤلفات ابن رشد، والطريقة التي عبث بها المترجمون اليهود في القرنين الثالث عشر والخامس عشر.

وتبقى أسوأ ذكرى في رحلات بدوي فترة عمله في ليبيا أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب في الجامعة الليبية، من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٣؛ فعلى الرغم من إغنائه محتويات مكتبة الجامعة الليبية بحيث ارتفع عدد كتبها المتعلقة بالعلوم الإنسانية من ٥ آلاف كتاب إلى حوالى ٣٠ ألفاً، وإحيائه مجلة كلية الآداب، وتولّيه إصدارها بالتعاون مع عميد الكلية، وتحفيز باحثين عرب وأوروبيين على المشاركة في تحريرها، فإن طموحه العلمي الكبير لم يجد التربة الفكرية المناسبة من أجل الانبثاق والاشتغال بحرّية؛ بل تم اعتقاله بعد الحمى التي أطلقتها شعارات الثورة الثقافية التي أعلنها القذافي عام ١٩٧٣، ثم أُفرج عنه بعد تدخّل من الرئيس المصري السادات.

إلى جانب ذلك، اشتغل بدوي مستشاراً ثقافياً في السفارة المصرية في سويسرا، ثم رئيساً للبعثة العلمية، وهي مهمة حتمت عليه القيام بخطوات، أهمها :

ـ إلقاء مجموعة من المحاضرات للتعريف بالثقافة العربية والإسلامية، من بينها محاضرة عامة بالفرنسية في جامعة جنيف تحت عنوان «النزعة الإنسانية في الفكر العربي»، ثم محاضرات في جامعة برن عن «العروبة ومقوماتها»، إضافة إلى محاضرة عن الشاعر «رنير ماريا ريلكه في مصر» في جامعة نيوشاتل.

ـ الإعداد للمؤتمر الدولي السنوي للتربية الذي ينظمه المكتب الدولي للتربية في جنيف.

ـ مشاهدة المعارض الفنية وكتابة تقرير عنها.

أما إنتاجه العلمي في هذه الفترة، فقد تمثّل في : ترجمته لـ **دون كيشوت**، التي طُبعت في القاهرة في جزأين عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٦؛ ترجمة البحث الذي أنجزه يوليوس فلهوزن تحت عنوان **أحزاب المعارضة الدينية السياسية في صدر الإسلام : الخوارج والشيعة**، وقد أصدره في القاهرة عام ١٩٥٩؛ تحقيق **رسائل ابن سبعين** التي ظهرت في القاهرة أيضاً عام ١٩٦٥.

وقد صادف وجود بدوي في سويسرا أن عاين ثلاث محاضرات للفيلسوف الألماني الوجودي كارل يسبرز (١٨٨٣ ـ ١٩٦٩)، وهي عبارة عن دروس يلقيها على الطلاب في جامعة بازل في الفصل الصيفي من عام ١٩٥٦. أما توجهه إلى لبنان من أجل التدريس لمدة عامين، تلبية لدعوة من المدرسة العليا للآداب في بيروت، فقد كان فرصة أخرى بالنسبة إليه للهروب من الأجواء الملوثة التي كانت تسود الجامعة المصرية، علاوة على ضعف المستوى العلمي وكذا تفشي سلوكات التملق والخصومة بين أعضاء هيئة التدريس. وكانت له محاضرة تضمنها كتابه **الإنسانية والوجودية في الفكر العربي**.

إن إلحاح بدوي على تعلم اللغات الأجنبية، والاستفادة من المصادر المتينة للمعرفة الإنسانية ثم ترجمتها إلى اللغة العربية، إضافة إلى الاشتغال على الحقول الثلاثة: الفلسفة الإسلامية والفكر الأوروبي ثم تاريخ الفلسفة، كل ذلك يخلق بشكل أو بآخر الآفاق الفكرية التي تمكّن حقاً من استلهام الأسئلة الأنطولوجية الكبرى، وتعطي المثقف العربي القدرة المعرفية والمنهجية على قيادة مشروعه الفكري والمجتمعي. يقول بدوي، محدداً استراتيجية للعمل: «وأرى أنه لا بد لكل باحث وأستاذ في الفلسفة في العالم العربي الإسلامي أن يعمل في هذه

الجبهات الثلاث: التأليف الشخصي الأصيل ـ تاريخ الفلسفة في أوروبا ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية وتحقيق نصوصها. وكل هذه مهام لا تزال بعيدة عن تحقيق المطلوب فيها في العالم العربي، لأن الأساتذة والعاملين في هذا الميدان ـ للأسف الشديد قليلو الإنتاج أو هم عاجزون عنه أو منصرفون عنه إلى أمور أخرى تافهة سياسية أو دنيوية أو معاشية. وإنني لأدهش حين أرى الكثيرين ممن تجاوزوا سن الخمسين، بل أشرف بعضهم أو تجاوز الثمانين، ومع ذلك لم ينتجوا شيئاً يستحق الذكر طوال هذا العمر الطويل. وبعضهم وقف عند الدكتوراه، وبعضهم الآخر مضى عليهم أكثر من ثلاثين أو عشرين سنة دون أن ينتجوا كتاباً واحداً ذا قيمة. ومع ذلك، تراهم يثرثرون باستمرار ويتزاحمون حول الألقاب السخيفة أو الجوائز أو العضوية في المجامع العلمية أو شبه العلمية، مما لا يحققون معه شيئاً، بل بالعكس يحجبون من هم أقدر على الإنتاج أو توجيه الإنتاج»[١٨].

إن مسألة الرهان على اللغة الأجنبية والثقافة الحديثة هي من ضروريات إصلاح المنظومة التعليمية، وخاصة اللغات الأجنبية الغنية بالمؤلفات الفلسفية.

إن مسألة الرهان على اللغة الأجنبية والثقافة الحديثة هي، بحسب بدوي، من ضروريات إصلاح المنظومة التعليمية، وخاصة اللغات الأجنبية الغنية بالمؤلفات الفلسفية. يقول: «ولهذا صارت الخطوة الأولى الضرورية لإصلاح التعليم في مصر ـ والعالم العربي ـ هي العودة إلى تعليم لغة أجنبية حديثة ـ واسعة الانتشار غنية في المؤلفات ـ في المرحلة الابتدائية، وتخصيص قدر وافر من الساعات لهذا التعليم، على أن يتم وفقاً للطريقة القديمة، أي استظهار القواعد النحوية والتدريب على تطبيقها، وحفظ بعض النصوص الشعرية والنثرية السهلة، وحفظ أكبر قدر من مفردات اللغة»[١٩]. فمن مظاهر فساد النظام التربوي، يضيف بدوي، الإخفاق والعجز عن خلق ذوات متعلمة قادرة على استلهام دور العصر والمفاهيم المؤسسة لها، ومفتاحنا لذلك هو اللغة. إن حتمية معرفة اللغات الأجنبية، خاصة تلك التي تتوفر على إنتاج علمي رفيع، تشكّل مساراً ضرورياً لكل مثقف يطمح إلى العالمية، من هنا قيمة الترجمة في تحقيق النهضة العلمية والفكرية التي نتوخّاها.

قدم بدوي إذن مثالاً حياً ونموذجاً كبيراً في القدرة والرصانة والعمل الجدي المتواصل من أجل تحصيل المعرفة في أصولها ومنابعها. لذلك، لم يكن وجوده محض صدفة، كما حاول أن يوهمنا بذلك، بل إن عقلية من هذا الطراز تحتم بالفعل أرضية للعمل □

(١٨) «ملفات للبحث والسؤال،» ص ١٢.
(١٩) بدوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧.